

الاستغفار

تأليف

الدكتور عزيز بن فرحان الحبلائي العنزي

الطبعة الثالثة
١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م
رقم التصريح ٩٣٧/٢٠١٢م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مقدمة □

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهديه الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ^(١)
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ ^(٢) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ^(٣)

(١) سورة آل عمران : (١٠٢).

(٢) سورة النساء: (١).

(٣) سورة الأحزاب: (٧٠ - ٧١).

أما بعد.. فإن الاستغفار هو بداية العبد ونهايته، وأول منازل العبودية، وأوسطها، وآخرها؛ ولهذا كان قوام الدين بالتوحيد والاستغفار؛ كما قال الله تعالى: ﴿الرَّكَتَبُ أَحْكَمَتْ أَيْنَهُ ثُمَّ فَصَلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ۝١ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢﴾ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُعْنِعْكُمْ مَنَّاً حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ۚ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ۝١﴾
 وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ۝٢﴾
 فانظر كيف قرن الله تعالى بين الإيمان والاستغفار في هذه الآية التي خاطب بها كفار مكة، والذين منعهم من الإيمان ونبذ الشرك، ومن الاستغفار مما سلف من ذنوبهم، إلا تقدير الله إتيانهم ما جرت به سنته في الأمم المكذبة السابقة من الهالك الديني، أو العذاب

(١) سورة هود: (١ - ٣).

(٢) سورة الكهف: (٥٥).



الأخروي، أو إرادته سبحانه وتعالى ذلك بناء على علمه السابق من سوء حالهم، وخبث نفوسهم.

ولذلك كان الرسول ﷺ إذا جاءه الرجل مسلمًا علمه أن يقول: « اللهم اغفر لي، وارحمي، واهدي، وارزقي »^(١)، والعبد دائمًا بين نعمة من الله يحتاج فيها إلى شكرٍ، وذنب منه يحتاج فيه إلى استغفار، وكلاهما من الأمور اللازمة للعبد دائمًا، فلو نظرت في جنس الإنسان لرأيت أنه لا يزال يتقلب في نعم الله تعالى التي لا تحصى، ولا يزال محتاجًا إلى التوبة والاستغفار لكونه خطاءً، وخير الخطائين التوابون.

فعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: « والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله، فيغفر لهم »^(٢).

وفي الحديث القدسي: يقول الله تبارك وتعالى: «..يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي مالك الأشدعي عن أبيه (٢٦٩٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٩).

لكم» ^(١) فهذا دليل على: أن الأصل في جنس الإنسان الوقوع في الخطيئة والذنب، وأنه مأمور بالتوبة والاستغفار لمحو الذنب والخطيئة.

قال ابن رجب، **رحمته الله**: "هذا يقتضي أن جميع الخلق مفتقرون إلى الله تعالى في جلب مصالحهم، ودفع مضارهم، في أمور دينهم ودنياهم، وأن العباد لا يملكون لأنفسهم شيئاً من ذلك كله، وأن من لم يتفضل الله عليه بالهدى والرزق، فإنه يُحرّمهُما في الدنيا، ومن لم يتفضل عليه بمغفرة ذنوبه أو بقتله خطاياهم في الآخرة" ^(٢).

ومن فضله سبحانه، وعظيم كرمه، وكبير منته: أن سهّل على عباده الخروج من الذنب، فليس في شريعتنا ذنب إذا فعله الإنسان لا يمكن الخروج منه إلا بمشقة عظيمة، أو حرج شديد، بل إن الأمر يسير لمن يسره الله عليه، فالله تعالى ييسر يده بالليل ليتوب مسيء النهار، وييسر يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، وأنه يفرح بتوبة

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) جامع العلوم والحكم (٣٧/٢-٣٨).



عبدته وأوبته ﴿وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ﴾ فله الحمد أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

ولقد يسر الله تعالى أمر الاستغفار للعباد، فبمقدور كل عبد الإتيان به في جميع أحواله وأوقاته: في ليله ونهاره، وفي خلوته وجلوته، وفي صحته ومرضه، وفي ظعنه وإقامته، وفي قيامه وقعوده، وهو طاهر ومحدث، لا عذر للمرء في التكاسل عنه بوجه من الوجوه.

والمأمل في باب الاستغفار: يجده متشبعاً وواسعاً، لا يقتصر الإتيان به على التخلص من تبعة الذنب فقط، بل إنه يدخل في كثير من العبادات، والأعمال، والتروك، وله أحكام كثيرة، يغفل عنها الكثير، وهذا ما سأوضح بعضه في هذه الرسالة المختصرة، بتوفيق الله تعالى.

والله أسأل أن ينفع بها، وأن يدخرها لي، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

وكتبه

الدكتور عزيز بن فرحان العنزي

فصل □ تعريف الاستغفار □

الاستغفار: هو طلب المغفرة من الله تعالى، والتجاوز عن الذنب، وعدم المؤاخذه به، إما بترك التوبيخ والعقاب رأساً، أو بعد التقرير^(١) به فيما بين العبد وربّه.

وطلب المغفرة: قد يكون بالقول والفعل؛ فإن المغفرة هي: وقاية شر الذنب، ومن أهل العلم من يقول: إن الاستغفار من الغفر، والغفر هو: الستر، ويقول: إنما سمي المغفرة والغفار، لما فيه من معنى، يقول تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّكَ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوَّلِدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٢)

ومعنى ﴿وَتَغْفِرُوا﴾، أي: تستروا عيوبهم، وتمهدوا لهم في الاعتذار.

(١) التقرير: أن يوقف الله تعالى عبده على الذنب، فيقر العبد به، أو بجوارحه.

(٢) سورة النباين: (١٤).



ويأتي الاستغفار في القرآن على معان عديدة:

- فيأتي بمعنى الإسلام، عند فريق من أهل العلم بالتفسير: كمجاهد وعكرمة، واستدلوا لذلك بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِّعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِّمُعَذِّبِهِمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(١) أي: يسلمون.
- ويأتي الاستغفار بمعنى الدعاء عند فريق آخر، فكل دعاء فيه سؤال الغفران فهو استغفار، إلا أن بين الاستغفار والدعاء عمومًا وخصوصًا من وجه، فيجتمعان في طلب المغفرة، وينفرد الاستغفار إن كان بالفعل لا بالقول، كما ينفرد الدعاء إن كان بطلب غير المغفرة.

- ويأتي الاستغفار بمعنى التوبة، وها هنا يلتبس الأمر على كثير من الناس، فيظنون أن الاستغفار هو: التوبة، والتوبة هي: الاستغفار، ويتتبع النصوص يظهر أن بين التوبة والاستغفار عمومًا وخصوصًا من وجه، فإذا تفرقا اجتماعا، وإذا اجتماعا



تفرقا، فعند الإطلاق يدخل كل منهما في مسمى الآخر، وعند اقتراحهما، يكون الاستغفار طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة، الرجوع، وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله.

❏ قال ابن القيم، **رحمته**: "...وأما الاستغفار فهو **نوعان**: مفرد، ومقرون بالتوبة،

✓ فالمفرد: كقول نوح عليه السلام، لقومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝١١﴾ ^(١)،

وقول صالح عليه السلام لقومه: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٢﴾ ^(٢)، وكقوله تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٣﴾ ^(٣)، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ۝٤﴾ ^(٤). والمقرون: كقوله

(١) سورة نوح: (١٠ - ١١).

(٢) سورة النمل: (٤٦).

(٣) سورة البقرة: (١٩٩).

(٤) سورة الأنفال: (٣٣).



تعالى: ﴿وَأَن أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مِّنَّا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ. وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾^(١)، وقول هود عليه السلام لقومه: ﴿أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدَّكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾^(٢)، وقول صالح عليه السلام لقومه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾^(٣)، وقول شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾^(٤)، فالاستغفار المفرد، كالتوبة، بل هو التوبة بعينها، مع تضمينه: طلب المغفرة من الله، وهو محو الذنب، وإزالة أثره، ووقاية شره، لا كما ظنه بعض الناس، أنها: الستر، فإن الله يستر على من يغفر له ومن لا يغفر له، ولكن الستر لازم ممسأها أو جزؤه، فدلالتها عليه

(١) سورة هود: (٣).

(٢) سورة هود: (٥٢).

(٣) سورة هود: (٦١).

(٤) سورة هود: (٩٠).



إما: بالتضمن، وإما باللزم، وحقيقتها: وقاية شر الذنب، ومنه المغفر لما يقي الرأس من الأذى، والستر لازم لهذا المعنى، وإلا فالعمامة لا تسمى مغفراً، ولا القبع ونحوه مع ستره، فلا بد في لفظ المغفرة من الوقاية، وهذا الاستغفار هو الذي يمنع العذاب في قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(١)؛ فإن الله لا يعذب مستغفراً، أما من أصر على الذنب، وطلب من الله مغفرته، فهذا ليس باستغفار مطلق، ولهذا لا يمنع العذاب، فالاستغفار يتضمن التوبة، والتوبة تتضمن الاستغفار، وكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق،

✓ وأما عن اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى فالاستغفار:

طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة: الرجوع، وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله، فها هنا ذنبان: ذنب قد مضى فالاستغفار منه: طلب وقاية شره، وذنب يخاف وقوعه، فالتوبة: العزم على أن لا يفعله.



والرجوع إلى الله يتناول النوعين: رجوع إليه ليقيه شر ما مضى، ورجوع إليه ليقيه شر ما يستقبل من شر نفسه، وسيئات أعماله. وأيضًا: فإن المذنب بمنزلة من ركب طريقًا تؤديه إلى هلاكه، ولا توصله إلى المقصود، فهو مأمور أن يوليها ظهره، إلى مقصوده، وفيها فلاحه، فها هنا أمران لا بد منهما: مفارقة شيء، والرجوع إلى غيره، فخصت التوبة بالرجوع، والاستغفار بالمفارقة، وعند أفراد أحدهما يتناول الأمرين: ولهذا جاء - والله أعلم - الأمر بهما مرتبًا بقوله: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾^(١)؛ فإنه الرجوع إلى طريق الحق، بعد مفارقة الباطل، وأيضًا:

فالاستغفار: من باب إزالة الضرر، والتوبة طلب جلب المنفعة، فالمغفرة: أن يقيه شر الذنب.

والتوبة: أن يحصل له بعد هذه الوقاية ما يحبه وكل منهما يستلزم الآخر عند إفراده، والله أعلم^(٢).

(١) سورة هود: (٣).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٠٧ - ٣٠٨).

فصل □ حكم الاستغفار □

الاستغفار: عبادة من العبادات الجليلة، والقرب العظيمة، سواء استغفر المرء لنفسه، أو استغفر لغيره.

والأصل: أنه مندوب إليه، لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١)، والأمر هنا يحمل على الندب؛ لأنه قد يكون من غير معصية، فيستغفر المرء لنفسه، ولوالديه، ولذريته، ولإخوانه الذين سبقوه بالإيمان، وللمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات.

لكن الاستغفار قد يخرج عن الندب إلى الوجوب، كالاستغفار من المعصية بعد الوقوع فيها، وكالاستغفار لمن اغتابه على الصحيح^(٢). وقد يخرج إلى الكراهة، وذكر بعض أهل العلم لذلك مثلاً، كالاستغفار للميت خلف الجنازة؛ لأنه توظيف لهذه العبادة في غير

(١) سورة المزمل: (٢٠).

(٢) انظر مدارج السالكين (٣٩١/١).



مكانها المشروع، ولم يثبت عن النبي ﷺ أنه كان يستغفر حلف الجنابة، ولا عن أحد الصحابة، رضوان الله عليهم أجمعين، وإنما الاستغفار للميت يكون أثناء الصلاة وبعد الدفن كما سيمر معنا. وقد يخرج إلى الحرمة، كالاستغفار للكفار، ولو كانوا أولي قرى؛ للنهي الصريح الوارد في كتاب الله جل وعلا، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهم أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۝١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ۝١١٤﴾ (١)،

وقال في حق المنافقين: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢)

فالاستغفار لا ينفعهم شيئاً، وذلك لفداحة ما هم عليه من الاعتقاد الفاسد المبطن، ولا يغالهم في الكفر، وإنحماهم في الفسق والقبائح،

(١) سورة التوبة: (١١٣-١١٤).

(٢) المنافقون: (٦).



فاستحقوا هذا الجزاء الخطير قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَفِفِينَ فِي الدَّرَكِ
الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ ^(١).



فصل □ حاجة العبد إلى الاستغفار □

للاستغفار شأن عظيم، ومنزلة كبيرة، ومكانة سامية، ويكفي لبيان شأنه: مواظبة الأنبياء عليه، ودعوة أقوامهم إليه، وثناء الله تعالى على المتبسين به، واللاهجين به في الأسحار، والعبد بالنسبة إلى ربه - عزّ وجل - فقير إليه فقر ذات، وفقر صفات، واحتياجه إلى ربه - عزّ وجل - أمر ذاتي لا ينفك عن العبد في كل لحظة، وفي كل حركة وسكنة؛ ولذلك يتفاوت الناس في إدراك هذا الأمر، ولما كان الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - أعرف الناس بالله كانوا أكثرهم خشية، وإنابة له، وأشدّهم تمسكًا بهذا الاستغفار، وهكذا العلماء يأتون في المرتبة الثانية بعد الأنبياء في حيازة الخشية والإنابة؛ لأن من كان بالله أعرف كان له أخوف، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾^(١)، ولذلك نجد أهل العلم في غالب أحوالهم على هذا المسلك من الاستمسك بالاستغفار،

(١) سورة فاطر: (٢٨).

وكذلك وصاياهم به لا تكاد تغيب عن منهجهم في التعليم والتوجيه، فهم يرغبون الناس في المحافظة على الاستغفار؛ لما يعلمون ما فيه من السلامة والعصمة، ومحق الذنوب، وتيسير الأمور للعبد.

✍ قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، **رحمته الله**، مبيّنًا حاجة العبد إلى الاستغفار: "...الاستغفار يخرج العبد من الفعل المكروه إلى الفعل المحبوب، والعمل الناقص إلى العمل التام، ويرفع العبد من المقام الأدنى إلى الأعلى منه والأكمل، فإن العابد لله، والعارف بالله في كل يوم، بل في كل ساعة، بل في كل لحظة، يزداد علمًا بالله وبصيرة في دينه وعبوديته، بحيث يجد ذلك في طعامه، وشرابه، ونومه، ويقظته، وقوله، وفعله، ويرى تقصيره في حضور قلبه في المقامات العالية، وإعطائها حقها، فهو يحتاج إلى الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار، بل هو مضطر إليه دائمًا في الأقوال والأحوال، في الغوائب والمشاهد؛ لما فيه من المصالح وجلب الخيرات، ودفع المضرات، وطلب الزيادة في القوة في الأعمال القلبية، والبدنية اليقينية الإيمانية. وقد ثبتت دائرة الاستغفار بين أهل التوحيد، واقتراها بشهادة أن لا إله إلا الله من أولهم إلى



آخرهم، ومن آخرهم إلى أولهم، ومن الأعلى إلى الأدنى، وشمول دائرة التوحيد والاستغفار للخلق كلهم، وهم فيها درجات عند الله، ولكل عامل مقام معلوم، فشهادة أن لا إله إلا الله بصدق ويقين تذهب الشرك كله، دقه وجله، خطأه وعمده، أوله وآخره، سره وعلايته، وتأتي على جميع صفاته وخفاياه ودقائقه.

والاستغفار يمحو ما بقي من عثراته ويمحو الذنب الذي هو من شعب الشرك، فإن الذنوب كلها من شعب الشرك، فالتوحيد يذهب أصل الشرك، والاستغفار يمحو فروعه، فأبلغ الثناء قول: "لا إله إلا الله" وأبلغ الدعاء قول: "استغفر الله". فأمره بالتوحيد والاستغفار لنفسه وإخوانه من المؤمنين.."

وقال: "التوبة من أعظم الحسنات، والحسنات كلها مشروط فيها: الإخلاص لله، وموافقة أمره باتباع رسوله، والاستغفار من أكبر الحسنات، وبابه واسع، فمن أحس بتقصير في قوله، أو عمله، أو حاله، أو رزقه، أو تقلب قلب، فعليه بالتوحيد والاستغفار، ففيهما الشفاء إذا كانا بصدق وإخلاص، وكذلك إذا وجد العبد تقصيراً في حقوق القرابة، والأهل والأولاد، والجيران، والإخوان، فعليه



بالدعاء لهم والاستغفار؛ قال حذيفة ابن اليمان رضي الله عنهما
للنبي ﷺ: "إن لي لسناً ذرباً على أهلي.
فقال له: «أين أنت من الاستغفار؟ إني لأستغفر الله في اليوم أكثر
من سبعين مرة»^(١).

(١) مجموع الفتاوى (٦٩٦/١١-٦٨٩) قلت: والحديث رواه أحمد والنسائي والدرامي
والبيهقي والطبراني عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه بأسانيد لا يخلو كل واحد منها من مقال، وله
شواهد في الصحيحين.



فصل □ فضل الاستغفار □

ورد في فضل الاستغفار نصوص كثيرة في الكتاب والسنة، كلها تشير إلى أهمية الاستغفار، وفضله، وكثرة خيره وبركته، وكبير عوائده وفوائده، على المستغفر والمستغفر له، وقد تنوعت دلالات نصوص القرآن والسنة في ذلك ما بين أمر به، وإرشاد إليه، وحكاية ما عليه حال الأنبياء - عليهم السلام - من التمسك به، كل ذلك لبيان فضله، ولكونه عبادة محبة إلى الله تعالى، فمما يدل على فضل الاستغفار:

أولاً: ثناء الله تعالى على المستغفرين.

يقول الله تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(٢)، والأسحار: جمع سحر، وهو: من ثلث الليل الأخير، وتخصيص السحر بالاستغفار؛ لأنه الدعاء فيه

(١) سورة آل عمران: (١٧).

(٢) سورة الذاريات: (١٨).



أقرب إلى الإجابة؛ إذ العبادة حينئذ أشق، والنفس أصفى، والرب تعالى ينزل نزولاً يليق بجلاله وعظمته إلى سماء الدنيا، ويقول: «هل من مستغفر فاغفر له» ^(١).

✍ قال شيخ الإسلام ابن تيمية، **رَحِمَهُ اللهُ**: "...والناس في آخر الليل يكون في قلوبهم من التوجه، والتقرب، والرقّة ما لا يوجد في غير ذلك الوقت، وهذا مناسب لنزوله إلى سماء الدنيا وقوله هل من داع؟ هل من سائل؟ هل من تائب؟"

ولذلك لما طلب أبناء يعقوب، عليه السلام، من أبيهم أن يستغفر لهم، أَجَلَّهم إلى السحر، قال: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ ^(٢)، قاله ابن مسعود والنخعي، وعمرو بن قيس، وابن جريج وغيرهم ^(٣).

وهكذا قال إبراهيم لأبيه: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ ^(٤)، قيل: إنه أحر الاستغفار له إلى السحر.

(١) حديث قدسي أخرجه البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة.

(٢) سورة يوسف: (٩٨).

(٣) تفسير ابن كثير (٥١٥/٤).

(٤) سورة مريم: (٤٧).



ثانيًا: ملازمة النبي ﷺ للاستغفار^(١).

ومما يدل على فضله، وكثرة خيره، وبركته: ملازمة النبي ﷺ له، والرسول ﷺ لا يفعل إلا الأفضل من العمل، فضلاً عن الملازمة

(١) وقد استكشلت وقوع الاستغفار من النبي ﷺ وهو معصوم، وكذا باقي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومعلوم أن الاستغفار يستدعي وقوع معصية، فأجاب أهل العلم بأجوبة حاصلها:

١. هفوات الطباع البشرية لا يسلم منها أحد، والأنبياء وإن عصموا من الكبائر فلم يعصموا من الصغائر، والراجح عدم عصمتهم من الصغائر التي لا تخل بالمرء ولا تفدح في صدق الرسالة.
٢. الأنبياء أشد الناس اجتهادًا في العبادة لما أعطاهم الله تعالى من المعرفة، فهم دائبون في شكره معترفون له بالتقصير، فيكون استغفارهم من التقصير في أداء الحق الذي يجب لله تعالى.
٣. قيل: إن النبي عليه الصلاة والسلام يقوم بأعمال كثيرة تحجبه عن ذكر الله تعالى من أكل وشرب أو جماع أو نوم أو راحة أو مخاطبة الناس، والنظر في مصالحهم ومحاربة عدوهم ومداراته الأخرى، وتأليف المؤلفة وغير ذلك فيرى ذلك ذنبًا ينبغي أن يستغفر الله تعالى منه.
٤. قيل: إن استغفاره تشريع لأمته، أو من ذنوب الأمة فهو كالشفاعة لهم. قلت: والأجوبة التي ذكرها أهل العلم كثيرة، وأحسنها الجواب الثاني، بدليل النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة لما رآته يقوم الليل حتى تتفطر قدماه فقالت: ألم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيقول: " أفلا أكون عبدًا شكورًا " .

التامة له، فقد ثبت أن النبي ﷺ واظب على الاستغفار، حتى كان شعارًا ظاهرًا له، وقد جاءت نصوص كثيرة بهذا.
فمن ذلك:

عن الأغر المزني، رضي الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ: « إنه ليغان^(١) على قلبي وإني لأستغفر الله كل يوم مائة مرة »^(٢).
وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ: « والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة »^(٣).
وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة قول: « رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم »^(٤).

(١) قال ابن حجر: " قال عياض: المراد بالغين فترات عن الذكر الذي شأنه أن يداوم عليه، فإذا فتر عنه لأمر ما عد ذلك ذنبًا فاستغفر منه. وقيل هو شيء يعتري القلب مما يقع من حديث النفس، وقيل هو السكينة التي تغشى قلبه والاستغفار لإظهار العبودية معه والشكر لما أولاه " فتح الباري (١٤/١٥٨).

(٢) أخرجه أحمد (٤/٢٦٠) ومسلم (٢/٢٧٠) وأبو داود (١٥١٥).

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٠٧).

(٤) أخرجه أبو داود (١٥١٦) والترمذي (٣٤٣٠) وقال: حديث صحيح.



ثالثًا: أن الاستغفار هو شعار الأنبياء جميعًا، عليهم الصلاة والسلام.

فما من نبي إلا استغفر ربه تعالى، ودعا أمته إلى الاستغفار، قال الله تعالى على لسان آدم وحواء - عليهما السلام - وهما يستغفران الله من الخطيئة: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١)، وقال تعالى على لسان موسى - عليه السلام -: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٢)، وقال تعالى عن داود - عليه السلام - : ﴿وَوَظَنَ دَاوُدُ أَنَّهَا فَئِنَّهُ فَاَسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾^(٣)، وقال تعالى على لسان نوح - عليه السلام - وهو يعظ قومه: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾^(٤)، وقال تعالى على لسان صالح - عليه السلام - وهو يعظ ثمودًا: ﴿لَوْلَا سَتُغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ

(١) سورة الأعراف: (٢٣).

(٢) سورة القصص: (١٦).

(٣) سورة ص: (٢٤).

(٤) سورة نوح: (١٠-١١).

تُرْحَمُونَ ﴿١﴾، وفي آية أخرى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (٢).

وقال تعالى على لسان هود - عليه السلام - وهو يعظ قومه: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُم ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ (٣)، وقال تعالى على لسان شعيب - عليه السلام - : ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُم ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ (٤)، والنصوص في هذا الأمر كثيرة جدًا، مما يدل على عظيم مقام الاستغفار.

رابعاً: أن الاستغفار أساس العبودية وروحها.

لأن المستغفر إنما يظهر كمال ذلة، وافتقاره، وخضوعه بين يدي مولاه، لعلمه أنه وحده الخالق والمتفرد، والمستحق للعبادة، وأنه بيده الأمر كله، وإليه يرجع الأمر كله، وأنه لا يغفر الذنوب إلا هو، ولا يقبل العثرات، ويغفر الزلات، ويتجاوز عن الخطيئات إلا هو، فهنا

(١) سورة النمل: (٤٦).

(٢) سورة هود: (٦١).

(٣) سورة هود: (٥٢).

(٤) سورة هود: (٩٠).



لا يتوكل العبد إلا عليه، ولا يرجو أحدًا سواه، ولا يسأل غيره، ولا يستعين إلا به، فهاجسه الذي يقلقه على الدوام: طلب رضى الله وعفوه، فهو في كل لحظة يستشعر افتقاره إلى ربه، وحاجته إليه، ومن يحمل مثل هذا الأمر يكون قد نجى - بإذن الله تعالى - من الأمان من مكر الله، ومن القنوط من رحمته؛ لأن غير المستغفر أحد رجلين: إما أنه آمن من مكر الله، ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١)، وإما أنه قانط من رحمة الله ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾^(٢).

قال ابن القيم، **رحمته الله**: "أساس كل خير: أن تعلم أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فتيقن حينئذ أن الحسنات من نعمه فتشكره عليها، وتتضرع إليه أن لا يقطعها عنك، وأن السيئات من خذلانه وعقوبته، فتبتهل إليه أن يحول بينك وبينها، ولا يكللك في فعل الحسنات، وترك السيئات إلى نفسك، وقد أجمع

(١) سورة الأعراف: (٩٩).

(٢) سورة الحجر: (٥٦).

العارفون على أن كل خير فأصله بتوفيق الله للعبد، وكل شر فأصله خذلانه لعبد، وأجمعوا أن التوفيق: أن لا يكللك الله إلى نفسك، وأن الخذلان: أن يخلي بينك وبين نفسك، فإذا كان كل خير، فأصله: التوفيق، وهو: بيد الله لا بيد العبد، فمفتاحه: الدعاء، والافتقار، وصدق اللجأ، والرغبة والرغبة إليه، فمتى أعطى العبد هذا المفتاح، فقد أراد أن يفتح له، ومتى أضله عن المفتاح بقى باب الخير مرتجاً دونه. قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إني لا أحمل هم الإجابة ولكن هم الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه".

وعلى قدر نية العبد، وهمته، ومراده، ورغبته في ذلك يكون توفيقه سبحانه وإعانتة، فالمعونة من الله تنزل على العباد على قدر همهم، وثباتهم، ورغبتهم، ورهبتهم، والخذلان ينزل عليهم على حسب ذلك، فالله سبحانه أحكم الحاكمين، وأعلم العالمين يضع التوفيق في مواضعه اللائقة به، والخذلان في مواضعه اللائقة به، هو العليم الحكيم، وما أوتي من أوتي إلا من قبل إضاعته الشكر، وإهمال



الافتقار والدعاء، ولا ظفر من ظفر بمشيئة الله وعونه، إلا بقيامه بالشكر، وصدق الافتقار والدعاء..."^(١).

خامساً: أن في الاستغفار مصالح قد لا يدركها العبد.

قال ابن القيم رحمته الله، وهو يتحدث عن فوائد التضرع إلى الله تعالى ومشاهدة الذنب: "...ومنها: إن الله - سبحانه - إذا أراد بعبد خيراً أنساه رؤيته طاعاته، ورفعها من قلبه ولسانه، فإذا ابتلي بالذنب جعله نصب عينيه، ونسي طاعاته، وجعل همه كله بذنبه، فلا يزال ذنبه أمامه إن قام أو قعد أو غدا أو راح، فيكون هذا عين الرحمة في حقه، كما قال بعض السلف: إن العبد ليعمل الذنب فيدخل به الجنة، ويعمل الحسنة فيدخل بها النار، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: يعمل الخطيئة فلا تزال نصب عينيه، كلما ذكرها بكى وندم وتاب واستغفر وتضرع، وأتاب إلى الله، وذل له وانكسر، وعمل لها أعمالاً، فتكون سبب الرحمة في حقه، ويعمل الحسنة فلا تزال نصب عينيه، يمن بها، ويراهم يعتدّها على ربه، وعلى الخلق،



ويتكبر بها، ويتعجب من الناس كيف لا يعظمونه، ويكرمونه، ويجلون عليها؟! فلا تزال هذه الأمور به، حتى تقوى عليه آثارها، فتدخله النار، فعلامة السعادة: أن تكون حسنات العبد خلف ظهره، وسيئاته نصب عينيه، وعلامة الشقاوة: أن يجعل حسناته نصب عينيه وسيئاته خلف ظهره، والله المستعان.

ومنها: أن شهود العبد ذنوبه وخطاياها توجب له أن لا يرى لنفسه على أحد فضلاً، ولا له على أحد حقاً، فإنه يشهد عيوب نفسه وذنوبه، فلا يظن أنه خير من مسلم يؤمن بالله ورسوله، ويحرم ما حرم الله ورسوله، فإذا شهد ذلك على نفسه، لم ير لها على الناس حقوقاً من الإكرام يتقاضاهم إياها، ويذمهم على ترك القيام بها؛ فإنها عنده أخس قدرًا، وأقل قيمة من أن يكون لها على عباد الله حقوق، يجب عليهم مراعاتها، أو له - عليهم - فضل يستحق أن يكرم، ويعظم، ويقدم لأجله، فيرى أن من سلم عليه، أو لقيه بوجه منبسط فقد أحسن إليه، وبذلك له ما لا يستحقه، فاستراح هذا في نفسه، وأراح الناس من شكائته، وغضبه على الوجود وأهله، فما أطيب عيشه، وما أنعم باله، وما أقر عينه، وأين هذا ممن لا



يزال عائبًا على الخلق، شاكياً ترك قيامهم بحقه، ساخطاً عليهم، وهم عليه أسخط...

ومنها: أنه يوجب له الإمساك عن عيوب الناس، والفكر فيها؛ فإنه في شغل بعيب نفسه، فطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وويل لمن نسي عيبه، وتفرغ لعيوب الناس، هذا من علامة الشقاوة، كما أن الأول من أمارات السعادة.

ومنها: أنه إذا وقع في الذنب شهد نفسه مثل إخوانه الخطائين، وشهد أن المصيبة واحدة، والجميع مشتركون في الحاجة، بل في الضرورة إلى مغفرة الله وعفوه ورحمته، فكما يجب أن يستغفر له أخوه المسلم، كذلك هو أيضاً ينبغي أن يستغفر لأخيه المسلم، فيصير هجيراه: رب اغفر لي، ولوالدي، وللمسلمين والمسلمات وللمؤمنين والمؤمنات.

فإذا شهد العبد أن إخوانه مصابون بمثل ما أصيب به، محتاجون إلى ما هو محتاج إليه، لم يمتنع من مساعدتهم، إلا لفرط جهل بمغفرة الله وفضله، وتحقيق بهذا أن لا يساعد؛ فإن الجزاء من جنس العمل، وقد قال بعض السلف: إن الله لما عتب على الملائكة بسبب



قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ ^(١)، وامتنحن
 هاروت وماروت بما امتحنهما به، جعلت الملائكة بعد ذلك
 تستغفر لبني آدم ، وتدعو الله لهم ^(٢).

(١) سورة البقرة: (٣٠).

(٢) مفتاح دار السعادة (٢/٢٩٤-٢٩٩).



فصل □ ما هو الاستغفار المطلوب؟ □

مر معنا: أن الاستغفار عبادة من أجل العبادات، وأن فضله عظيم، وعوائده كثيرة، وخيراته على العبد متوالية، في الدنيا والآخرة، وقد ذكرنا ما عليه حال الأنبياء من الاستغفار، وسيمر معنا بيان آثاره في فصل مستقل، لكن السؤال الذي نطرحه في هذا الفصل: ما هو الاستغفار المطلوب من العبد الاتيان به؟ والذي به يستنزل المستغفر عطف الله ورحمته، ويكون مقبولاً بإذن الله - تعالى - رب العالمين؟!

ها هنا قاعدة عند أهل السنة والجماعة يذكرونها دائماً في شروط قبول العمل، أذكرها قبل الحديث عن الاستغفار المطلوب، وهو أن العبادة لا تقبل إلا بشرطين أساسين:
الأول: أن يكون العمل مخلصاً لله تعالى.

والثاني: أن يكون صواباً على سنة النبي ﷺ، ويطردون هذين الشرطين في جميع العبادات، وقد يضيفون لبعض العبادات شروطاً



آخر لافتقارها إليها، والبعض يسميها: أركاناً والبعض يسميها: شروطاً، وهذه في الحقيقة راجعة إلى جنس العبادة المأمور بها، وما ورد بخصوصها من نصوص تضاف إلى شرطي قبول العمل، فالاستغفار، مثلاً الذي نحن بصدد: عبادة من العبادات اشترط فيه حتى يكون مقبولاً: أن يكون خالصاً لله تعالى، لا يبتغي به صاحبه أحداً سوى الله تعالى، وأن يكون مشروعاً ليس فيه ألفاظاً شركية: كطلب المغفرة من المقبورين، أو بدعية: كتوظيفه في وقت محدد، غير مشروع في أصل السنة، أو محرمة: كقول: اللهم اغفر لي إن شئت.

وأيضاً يذكر كثير من أهل العلم: أن من شروطه: أن يكون التلفظ باللسان لهذا الاستغفار، مصحوباً معناه في القلب، وأن يتذكر الذنب المستغفر منه في الحال، إن كان ثمة ذنب، وذلك لتحقيق له نتائج الاستغفار وثمراته، لقوله تعالى: ﴿فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾^(١)، أما إن كان الاستغفار باللسان فقط، دون تذكر معناه في القلب،

(١) سورة آل عمران: (١٣٥).



أو يستغفر، وهو مصر على المعصية، فقد ذكر كثير من أهل العلم: أنه استغفار غير مقبول، لعدم توفر شرط صحته، بل ذكروا أنه ذنب يحتاج إلى استغفار، كما روي: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه»^(١). يقول عبد الله بن سهل الرازي سمعت يحيى بن معاذ يقول: " كم من مستغفر ممقوت وساکت مرحوم، ثم قال يحيى: هذا استغفر الله وقلبه فاجر، وهذا سكت وقلبه ذاکر". أ.هـ.

يقول حذيفه، رحمه الله: " بحسب المرء من العلم أن يخشى الله عز وجل وبحسبه من الكذب أن يقول: استغفر الله وأتوب إليه ثم يعود ". والتحقيق أن هذا الأمر من شروط قبول الاستغفار، هذا إذا كان الاستغفار بسبب تقصير في واجب، أو وقوع في محرم، فيشترط لصحة الاستغفار عن الذنب: أن يصطحبه المستغفر بقلبه، فيجمع بين الاستغفار باللسان، وتذكر الذنب بالقلب، ليتخلص منه، وليجتث جذوره العالقة في قلبه.

(١) قال ابن حجر في "فتح الباري" (١٣ / ٤٧١): " والراجح أن قوله: " والمستغفر إلى آخره " موقوف وأوله عند ابن ماجة والطبراني من حديث ابن مسعود وسنده حسن".



وقد ذكر بعض أهل العلم من ذوي التحقيق: أن من لم يتيسر له اجتماع القلب مع اللسان، ولكنه يجاهد نفسه، إلا إن لسانه يغلب على قلبه، فهذا إن انتفى الإصرار، فهو: حسن، بل لا ينهي عنه، بل مطالب من العبد أن يرطب لسانه بالاستغفار على الدوام؛ لأن الاستغفار عن غفلة خير من الصمت، وهو طريقة ووسيلة إلى انتباه القلب، فاللسان إذا ألف ذكرًا يوشك القلب أن يألفه فيوافقه عليه، ولذلك من مكائد الشيطان على بني الإنسان: منعهم من الاستغفار بسبب غفلة القلب، فليتنبه!!

فالاستغفار على الدوام أمر محمود، وخلة حميدة؛ لأنه عبادة مستقلة بذاتها، يستغفر على ما عمله من ذنوبه رجاء غفرانها، وما لم يعلمه مما يصدر منه، ولقد كان الرسول ﷺ يعلم أصحابه أن يقولوا على الدوام: « اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك مما لا أعلم »^(١).

(١) أخرجه أحمد (٤٠٣/٤) والبخاري في "الأدب المفرد" رقم (٧١٦) وغيرهما من حديث أبي هريرة بسند صحيح انظر صحيح الترغيب (٣٦).



فصل □ من أي شيء يكون الاستغفار؟ □

إن الاستغفار - عصمك الله - يكون من ترك الواجبات، ومن الوقوع في المحرمات، لا كما يظن البعض أن الاستغفار يكون من فعل الذنب فقط.

وأنقل هنا كلامًا ماتعًا لشيخ الإسلام ابن تيمية، رحمته الله، يقرر فيه:
 أن الاستغفار كما أنه واجب على من ترك الواجبات فيقول:
 " التوبة والاستغفار يكون من ترك الواجبات وفعل المحرمات،
 والأول يخفى على كثير من الناس. قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّكَ وَعَدَ
 اللَّهُ حَقًّا وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ
 وَالْإِبْكَارِ﴾ ^(١). وقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ
 لِذَنْبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ ^(٢).

(١) سورة غافر: (٥٥).

(٢) سورة محمد: (١٩).



قال تعالى: ﴿لِيَعْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ^(١)، وقال: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ ^(٢) وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مِّنَّا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ^(٣).

ومثل هذا في القرآن كثير.

فنقول: التوبة والاستغفار يكونان من ترك مأمور، ومن فعل محظور، فإن كلاهما من السيئات والخطايا، والذنوب وترك الإيمان، والتوحيد، والفرائض، التي فرضها الله تعالى، على القلب والبدن من الذنوب... بلا ريب عند كل أحد، بل هي أعظم الصنفين؛ فإن جنس ترك الواجبات أعظم من جنس فعل المحرمات، إذ قد يدخل في ذلك ترك الإيمان والتوحيد، ومن أتى بالإيمان والتوحيد لم يخلد في النار، ولو فعل ما فعل ومن لم يأت بالإيمان والتوحيد كان مخلدًا، ولو كانت ذنوبه من جهة الأفعال قليلة: كالزهاد والعباد من المشركين، وأهل الكتاب كعباد مشركي الهند، وعباد النصارى،

(١) سورة الفتح: (٢).

(٢) سورة هود: (٢-٣).



وغيرهم؛ فإنهم لا يقتلون، ولا يزنون، ولا يظلمون الناس؛ لكن نفس الإيمان والتوحيد الواجب تركوه.

ولكن يقال: ترك الإيمان والتوحيد الواجب، إنما يكون من الاشتغال بضده، وضده إذا كان كفرًا فهم يعاقبون على الكفر وهو من باب المنهي عنه، وإن كان ضده من جنس المباحات كالاشتغال بأهواء النفس ولذاتها: من الأكل والشرب، والرئاسة، وغير ذلك، عن الإيمان الواجب، فالعقوبة هنا لأجل الإيمان؛ لا لأجل ترك هذا الجنس، وقد يقال: كل من ترك الإيمان والتوحيد، فلا يتركه إلا إلى كفر وشرك؛ فإن النفس لا بد لها من إله تعبد، فمن لم يعبد الرحمن عبد الشيطان، فيقال: عبادة الشيطان، جنس عام، وهذا إذا أمره أن يشتغل بما هو مانع له من الإيمان والتوحيد يقال: عبده، كما أن من أطاع الشيطان فقد عبده، ولكن عبادة دون عبادة.

والناس نوعان: طلاب دين، وطلاب دنيا.

فهو يأمر طلاب الدين بالشرك والبدعة، كعباد المشركين، وأهل الكتاب، ويأمر طلاب الدنيا بالشهوات البدنية.



وفي الحديث عن النبي ﷺ: « إن أخوف ما أخاف عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الفتن »^(١)؛ ولهذا قال الحسن البصري لما ذكر الحديث: " لكل عامل شرة، ولكل شرة فترة، فإن صاحبها سدّد وقارب فارجوه، وإن أشير إليه بالأصابع فلا تعدوه "^(٢)، في دينه، والفاجر في دنياه..

فإن ترك الواجب، وفعل المحرم متلازمان، ولهذا كان من فعل ما نهي عنه، يقال: إنه عصى الأمر "^(٣) ا. هـ .

وأما الاستغفار من المحرمات، فهو: واجب أيضًا، وهو المتبادر عند إطلاق الاستغفار: أنه يكون من فعل المحرمات أكثر من أن تحصى في الكتاب والسنة، من ذلك:

(١) رواه أحمد بسند صحيح. انظر صحيح الترغيب (٢١٤٣).

(٢) رواه الترمذي وابن حبان (٣٤٩) من حديث أبي هريرة ورواه أحمد (٢/٢١٠، ١٨٨، ٢٤٥٣) والطحاوي في المشكل (٢/ ٨٨) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص بسند حسن صحيح.

(٣) مجموع الفتاوى (١١/٦٧٠) وما بعدها.



يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ^(١).

ويقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ ذُنُوبَكُمْ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ^(٢).

ومن الأشياء المحرمة التي كان السالف الصالح رضوان الله عليهم يستغفرون الله منها بعض الواردات والفلتات على الفكر والقلب والنفس واللسان، وذكر عن بشر بن الحارث، رحمته الله، أنه حدث فقال: حدثنا حماد بن زيد ثم قال: " استغفر الله إن لذكر الإسناد في القلب خيلاء "

والشافعي، رحمته الله، يقول: ما ناظرت أحدًا في الكلام - يعني علم الكلام المذموم - إلا مرة واحدة وأنا استغفر الله من ذلك "

(١) سورة النساء: (١١٠).

(٢) سورة آل عمران: (١٣٥).



بل بلغوا أبعد من ذلك فلقد كانوا يسغفرون في اللحن في القول والإعراب في القراءة، يقول الخليل بن أحمد: " لحن أيوب السخيتاني في حرف فقال: استغفر الله " .

وإن مما يجب الاستغفار منه رواية الأحاديث الضعيفة والموضوعة؛ لأنها من الكبائر، فلقد كان الأئمة يأمرّون من أسند حديثًا ضعيفًا أن يستغفر الله مما وقع فيه، فكيف بمن يروي الموضوعات، يقول الترمذي: " سمعت أحمد بن الحسين يقول: كنا عند أحمد فذكروا على من تحب الجمعة فلم يذكر فيه أحمد عن النبي ﷺ شيئًا فقلت لأحمد: فيه عن أبي هريرة وأسنده عن النبي ﷺ: " الجمعة على من آواه الليل إلى أهله " . قال فغضب عليّ أحمد بن حنبل وقال: استغفر ربك استغفر ربك. قال الترمذي: وإنما فعل به أحمد هذا لأنه لم يعد هذا الحديث شيئًا لحال إسناده " .



فصل □ صيغ الاستغفار □

ورد الاستغفار بصيغ متعددة، سبق ذكر بعض منها على سبيل الإجمال، واستعمال واحد من هذه الصيغ مجزئ في تحقيق الغرض والمقصود، إلا ما جاء النص على صيغتها بأنها خاصة ببعض العبادات، أو في بعض الأوقات، فهذه ينبغي التقيد بألفاظها، ومكان بيانها سأذكره في الحديث عن أنواع الاستغفار المقيد، وهنا أذكر بعض الصيغ الواردة في السنة من ذلك:

(أ) اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت خلقتني، وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، وأبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. وهذا سيد الاستغفار.

(ب) أستغفر الله الذي لا إله إلا هو، وأتوب إليه.

(ج) رب اغفر لي وتب علي، إنك أنت التواب الرحيم.

(د) سبحان الله ومحمده، أستغفر الله وأتوب إليه.



(هـ) أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(و) اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي.

(ز) غفرانك، غفرانك.

(ح) أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ.

(ط) وإذا كان الاستغفار للغير؛ كالوالدين والمؤمنين يقول: ﴿رَبِّ

أَغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ﴾^(١)، ويقول: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ

سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ

رَحِيمٌ﴾^(٢)، أو (اللهم اغفر لأخي) أو (اللهم اغفر له وارحمه)

وهكذا.

وهذا على سبيل الذكر لا الحصر.

وهنا فائدة متعلقة بلفظة، نهي الشارع عن استخدامها حال الذكر

والدعاء، لما تشتمل عليه من سوء أدب مع المولى تبارك وتعالى،

سبق وأن أشرت إليها، وهي ما رواه أبو هريرة، رضي الله عنه، قال: قال

رسول الله ﷺ: « لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم

(١) سورة نوح: (٢٨).

(٢) سورة الحشر: (١٠).



ارحمي إن شئت، ليعزم المسألة فإن الله لا مستكره له»^(١)، وقد
 بوب المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، **رحمته الله**، على هذا الحديث
 باباً في كتاب التوحيد، لينبه على أن قول الرجل: اللهم اغفر لي إن
 شئت: دليل على قلة اهتمامه في طلب المغفرة، وأن قوله هذا
 متضمن استغناؤه عن ربه، وعدم اكتراثه بذنبه، وهو مما يتنافى مع
 التوحيد الواجب، وأرشده الرسول **ﷺ** إلى تعظيم الرغبة؛ فإن الله لا
 يتعاضمه شيء، وإلى العزم في المسألة؛ فإن الله لا مستكره له.

(١) رواه البخاري (٦٣٣٨ و ٧٤٣٤)، ومسلم (٢٦٧٩).

فصل □ أنواع الاستغفار □

باستقراء النصوص الشرعية يتبين أن الاستغفار على نوعين اثنين:

الأول: استغفار مطلق، ليس له وقت محدد، بل يبغى رفع العقيرة به في جميع الأوقات والساعات، مثل ما كان النبي ﷺ يفعل، فلقد: « كان يعد عليه في المجلس الواحد مائة مرة قول استغفر الله وأتوب إليه »^(١)، فيجعله الإنسان ديدنه وهجيره، يلهج به في الصباح والمساء، وفي الخلوة والجلوة؛ لأن به تزكو النفس وتطهر، ويحصل له من التعلق بربه الشيء الذي يدفعه إلى فعل الخيرات، في جميع الأوقات والساعات، ويعتاد اللسان أيضًا القول الحسن، ويطرق العبد في مدارج الكمال، بإذن الله تعالى، فالحسنة تقول: أختي..أختي.

(١) سبق تخريجه (ص: ٢٦).



والثاني: استغفار مقيد، وردت نصوص ثابتة فيه، يلزم المسلم التقيد بألفاظها، وإعدادها، وإن ورد دليل خصوص بعددها، وبتتبع النصوص الشرعية أجد أن الاستغفار المقيد يكون في بعض العبادات، والأوقات، والأزمان والأماكن.

فصل □ الاستغفار في العبادات □

ورد الاستغفار في كثير من أبواب العبادات، وسأذكرها في هذا الفصل حسب ترتيب الفقهاء لأبواب وفصول الكتب الفقهية.

أبواب الطهارة

(أ) الاستغفار عقب الخروج من الخلاء، فيندب للمسلم أن يستغفر الله تعالى بعد الانتهاء من قضاء الحاجة^(١).

فعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا خرج من الخلاء قال: «غفرانك»^(٢).

ووجه سؤال المغفرة: أن الإنسان لما تخفف من أذية الجسم، ناسب أن يتذكر أذية الإثم، فدعا الله أن يخفف عنه أذية الإثم، كما أعانه

(١) انظر: المغني (١/١٦٨) والكافي لابن عبد البر (١/١٧٢) وحاشية ابن عابدين (١/٢٣٠) والفواكه الدواني (٢/٤٣٤).

(٢) رواه أحمد (٦/١١٣-١١٤) والترمذي (١٩) والنسائي (١/٤٢-٤٣) وابن حبان (١٤٤٤) وغيرهم بإسناد صحيح.



بتخفيف أذية الجسم، وقيل في مناسبة الاستغفار في هذه الحال: إظهار العجز عن شكر النعمة في تيسير الغذاء، وإيصال منفعته، وإخراج فضلته، وإبقاء قوته في جسد العبد، والله أعلم^(١).

(ب) الاستغفار بعد الوضوء^(٢): فيسن للمسلم أن يستغفر الله عند إتمام الوضوء، لما روى أبو سعيد الخدري، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فقال: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك، وأتوب إليك، طبع بطابع ثم رفعت تحت العرش فلم تكسر إلى يوم القيامة»^(٣).

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣٧٣/٤).

(٢) انظر: حاشية ابن عابدين (٨٧/١) ومدارج السالكين (١٧٦/١).

(٣) أخرجه النسائي رقم (٨٣) في عمل اليوم والليلة بسند صحيح. وانظر صحيح

الترغيب (٢٢٥).

في أبواب الصلاة

ورد الاستغفار في أحوال ومواطن كثيرة في الصلاة من ذلك:

(أ) **الاستغفار عند الدخول والخروج من المسجد:** فقد استحب الكثير من أهل العلم ^(١) للمسلم أن يستغفر الله عند دخول المسجد، وعند الخروج منه، كما هو الوارد في حديث فاطمة، رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال: « اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك »، وإذا خرج قال: « اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك » ^(٢).

(ب) **الاستغفار في أول الصلاة وآخرها وأثنائها** ^(٣): فيسن للمصلي أن يستغفر الله تعالى في أول الصلاة، وفي آخرها، في أثنائها، ففي

(١) انظر: كشف القناع (٣٠١/١) ومنح الجليل (٦٥/١) وشرح ميارة الصغير

(٢/١٣٧) ومراقي الفلاح (ص ٢١٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢٨٣/٦) وابن ماجه (٧٧١) بألفاظ متقاربة. وصححه العلامة الألباني

في تحريجه لكتاب " فضل الصلاة على النبي ﷺ ": للإمام إسماعيل بن إسحاق الجهمي المالكي (ص ٧٢) وقال: (صحيح لشواهده)، وأوردها.

(٣) انظر المسألة في: المغني (٤٧٤/١) والمجموع للنووي (٦١٣/٣) والكلم الطيب لابن

القيم (ص ٢٢٠) والكافي لابن عبد البر (٢٠٦/١).



أول الصلاة: جاء الاستغفار في بعض الروايات التي وردت في دعاء الافتتاح منها:

عن علي بن أبي طالب، عليه السلام، أن النبي ﷺ كان يقول في استفتاحه: « اللهم أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق، فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، فإنه لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله بيدك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك »^(١).

وعن عائشة أن النبي ﷺ كان يقول: « الله أكبر عشر مرات، ثم يسبح عشر مرات، ثم يحمد عشر مرات، ثم يهلل عشرًا، ثم يستغفر عشرًا، ثم يقول: اللهم اغفر لي، واهدني، وارزقني، وعافني عشرًا، ثم يقول: اللهم إني أعوذ بك من ضيق المقام يوم القيامة عشرًا »^(٢).

(١) أخرجه مسلم (٧٧١).

(٢) أخرجه أحمد (١٤٣/٦) وأبو داود (٧٦٦) والطبراني في "الأوسط" رقم (٨٤٢٧).



والذي يظهر: أن هذا النوع من الدعاء، كان يقوله ﷺ في افتتاح قيام الليل؛ كما ذكر ذلك ابن القيم وغيره^(١).

وأما في أثنائها، فقد ثبت أن النبي ﷺ كان يستغفر الله في ركوعه وسجوده، فعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ يكثّر أن يقول في ركوعه وسجوده: « سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي » يتأول القرآن^(٢) أي: يحقق قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ﴾^(٣).

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: « اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، وأوله وآخره، وعلايته وسره »^(٤).

وفي الجلوس بين السجدين يشرع الاستغفار، بل أوجبه بعض أهل العلم، وهو: الصحيح، لحديث حذيفة بن اليمان، رضي الله عنه، أنه صلى

(١) انظر: زاد المعاد لابن القيم (١/٢٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (٧١٧) ومسلم (٤٨٤).

(٣) سورة النصر: (٤).

(٤) أخرجه مسلم (٤٨٣).



مع النبي ﷺ، فكان يقول بين السجدين: « رب اغفر لي، رب اغفر لي »^(١).

وعن ابن عباس، رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ كان يقول بين السجدين: « اللهم اغفر لي وارحمني، واجبرني، واهدني، وارزقني »^(٢).

ويسن الاستغفار قبل السلام من الصلاة في آخر التحيات؛ لما جاء عن أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ يقول: « اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت »^(٣).

وعن أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، أنه قال لرسول الله ﷺ: علمني دعاء أدعو به في صلاتي قال: « قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم »^(٤).

(١) أخرجه النسائي (٢٣١/٢) وابن ماجه (٨٩٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٨٤) وأبو داود (٨٥٠) وابن ماجه (٨٩٨). وانظر المسألة في: المغني لابن قدامة (٥٠٣/١).

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٩٨) ومسلم (٢٧١٩).

(٤) أخرجه البخاري (٨٣٤ و ٦٣٢٦) ومسلم (٢٧٠٥).



ويسن الاستغفار عقب الصلاة ثلاثاً، لما روى ثوبان، رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته قال: « استغفر الله ثلاثاً » وقال: « اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام » قيل للأوزاعي، وهو أحد رواة الحديث، كيف الاستغفار؟ قال يقول: « أستغفر الله، أستغفر الله » ^(١).

(ج) ويندب الاستغفار في صلاة الاستسقاء، لقوله تعالى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝ ﴾ ^(٢)، فدلّت الآية على أن الاستغفار وسيلة للسقيا، بدليل قوله تعالى: ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝ ﴾، ولم تزد الآية على الاستغفار، وقد فهم هذا المعنى الصحابة - رضوان الله عليهم - فقد ورد عن عمر أنه خرج إلى الاستسقاء، وصعد المنبر، واستغفر الله، ولم يزد عليه؛ فقالوا: ما

(١) رواه مسلم (٥٩١).

(٢) سورة نوح: (١٠-١١).



استسقيت يا أمير المؤمنين؛ فقال: لقد استسقيت ربي بمجاديح السماء التي يستنزل بها الغيث^(١).

(د) ويسن الاستغفار في صلاة الجنازة؛ فقد ورد الاستغفار في صلاة الجنازة للميت في أحاديث منها: عن عبد الرحمن بن عوف بن مالك، رضي الله عنه، قال: صلى النبي ﷺ على جنازة فحفظت من دعواته، وهو يقول: «اللهم اغفر له وارحمه...»^(٢).

(هـ) الاستغفار في بداية الخطب الدينية وغيرها:

وهي المسماة: بخطبة الحاجة، فيستحب للمسلم أن يستفتح خطبه وحديثه بهذه الخطبة، والمشملة على الحمد والتعظيم لذي الأسماء الحسنى والصفات العلى، واستغفاره، والتعوذ به من الشرور، وسؤاله الهداية، والشهادة له بالتوحيد ولنبيه بالرسالة، وصفتها: «إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (٩٨/١١) وانظر المسألة في: المغني مع الشرح الكبير (٢٩١/٢)، والمجموع للنووي (٩١/٥).

(٢) أخرجه مسلم (٩٦٣). وانظر المسألة في: المغني مع الشرح الكبير (٣٨٥/٢). والمجموع للنووي (٢٩٤/٥).



ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله...»^(١).

في باب الصيام

يستحب للصائم: الاستغفار على الدوام، وفي جميع الأوقات؛ لعمومات الأدلة، ويتأكد عند نهاية صومه، فإذا أراد الإفطار استحب له أن يستغفر الله تعالى؛ فعن عبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد» قال: ابن أبي مليكة: سمعت عبد الله بن عمرو إذا أفطر يقول: «اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي»^(٢).

(١) أخرجه أحمد (٣٥٠/١) وابن ماجه (١٨٩٢) وغيرهما، من حديث عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٧٥٣) وابن السني (٤٨٢).



في باب الحج

يسن الاستغفار للحاج على الدوام، وفي جميع الأوقات، وسائر الأماكن: كمنى، وعرفات، ومزدلفة؛ لعمومات الأدلة، ويتأكد في ختام أعمال الحج؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ إِلَى قَوْلِهِ﴾ ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

ونلاحظ أن غالب العبادات يشرع الاستغفار في أولها وفي آخرها، والحكمة من ذلك، والله أعلم:

- أن العبد لا بد أن يحصل منه نوع تقصير وشروء، فمهما اجتهد، فلن يبلغ الكمال في أداء العبادة، فيأتي الاستغفار ليرقع الخرق، وليجبر الكسر، وليكمل النقص، فعلى هذا تتم الطاعة، وتكتمل القربة.
- أن العبد عندما يستغفر في أول العبادات وعقبها، إنما يشعر

(١) سورة البقرة: (١٨٨ - ١٩٩).



نفسه على الدوام بالتقصير في معاملته مع ربه، وهذا الأمر يورث العبد السعي للحصول على مرضاة الله، والترقي في مدارج الكمال.

● أن أهم شيء يجب أن ينتبه له العبد هو الحذر من مداخل الشيطان، فقد يؤدي العبد عبادة معينة، فيأتيه الشيطان فينفخ في جيبه بالأوهام، ويفتح عليه أبوابًا من الغرور، والرياء، والاستعلاء الذي قد يهلكه، فيأتي الاستغفار الذي به يشعر العبد استصغار نفسه، واستقلال عمله، وأنه ضعيف فقير محتاج بجوار الغني العظيم القوي، فيبدد كل ما ينسجه الشيطان مما فيه هلاك المسلم وترديه، فله الحمد على نعمه الكثيرة.



فصل □ الاستغفار للغير □

الاستغفار عبادة مشروعة، ومن أحكامها جواز استغفار الأعلى للأدنى، والأدنى للأعلى، والحي للميت، والشریف للوضیع، والوضیع للشریف، وهكذا، والدلیل على ذلك: قول الله تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثُوتَكُمْ﴾^(١)، فأمر الله نبيه ﷺ بالاستغفار له أولاً، وللمؤمنين والمؤمنات ثانياً.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾^(٢)، ومن ذلك الاستغفار للأموات، فالاستغفار: عبادة قولية يصح فعلها للحي والميت.

(١) سورة محمد: (١٩).

(٢) سورة النساء: (٦٤).



أما الأحياء، فقد جاءت نصوص كثيرة، غير ما سبق، تدل على مشروعية الاستغفار من الناس لبعضهم البعض، وأن يطلبوا ذلك فيما بينهم، سواء كان بسبب أو بغير سبب، من ذلك: يقول تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿فَأَذِّنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿فَبَايَعُوهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَأْزُؤُكُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾^(٥)، وقال تعالى عن الملائكة: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٦)، وقال: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ

(١) سورة آل عمران: (١٥٩).

(٢) سورة الفتح: (١١).

(٣) سورة النور: (٦٢).

(٤) سورة الممتحنة: (١٢).

(٥) سورة المنافقون: (٥).

(٦) سورة غافر: (٧).



لَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴿^(١)﴾، وقد أرشد النبي ﷺ عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، إلى أن يحرص على مقابلة رجل من أهل اليمن، اسمه: أويس بن عامر القرني، وأن يطلب منه أن يستغفر له فقال: «...له والدة بها بر لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن تستغفر لك فافعل...فأتى أويسًا فقال: «استغفر لي...فاستغفر له» ^(٢)»، وأرشد النبي ﷺ، المسلم إذا أكل من طعام أخيه أن يستغفر ويدعو له؛ فعن عبد الله بن بسر، رضي الله عنه، قال: نزل رسول الله ﷺ على أبي، قال: فقربنا إليه طعامًا ورطبة فأكل منها...فقال: أبي، وأخذ بلجام دابته: أدعو الله لنا، فقال: «اللهم لهم فيما رزقتهم، واغفر لهم، وارحمهم» ^(٣)، وعن محمد بن سيرين، رضي الله عنه، قال: كنا عند أبي هريرة، رضي الله عنه، ليلة، فقال: "اللهم اغفر لأبي هريرة ولأمي، ولمن استغفر لهما"، قال محمد بن سيرين: "فنحن نستغفر لهما حتى ندخل في

(١) سورة الشورى: (٥).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أسير بن جابر (٢٥٤٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٤٢).



دعوة أبي هريرة ^(١)، قال بكر بن عبد الله، **رحمته الله**: "لو كان رجل يطوف على الأبواب كما يطوف المسكين، يقول استغفروا لي، لكان نوله أن يفعل" أ.هـ.

رحمته الله قال ابن رجب، **رحمته الله**: "من كثرت ذنوبه وسيئاته حتى فاتت العدد والإحصاء فليستغفر الله مما علم الله؛ فإن الله قد علم كل شيء وأحصاه كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾ **أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ** ^(٢) " ^(٣).

وأما الأموات، فقد ثبت في السنة: مشروعية الاستغفار لهم في حالات، منها:

عن أم سلمة، **رضي الله عنها**، قالت: "...فلما مات أبوسلمة أتيت النبي **ﷺ**، فقلت: إن أبا سلمة قد مات، قال: «قولي اللهم اغفر لي وله» ^(٤).

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» قال الألباني (صحيح الإسناد) (٣٧).

(٢) سورة المجادلة: (٦).

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب (٤١٦/٢).

(٤) أخرجه مسلم (٩١٩).



وفي صلاة الجنازة، ورد الاستغفار للميت في أحاديث كثيرة منها:
عن عبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنه، قال: صلى النبي ﷺ على جنازة،
فحفظت من دعائه، وهو يقول: «اللهم اغفر له، وارحمه...»^(١).
وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: إن النبي ﷺ صلى على جنازة فقال:
«اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا...»^(٢).

وعن وائلة بن الأسقع، رضي الله عنه، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ على
رجل من المسلمين، فسمعتة يقول: «...اللهم فاغفر له،
وارحمه..إنك أنت الغفور الرحيم»^(٣).

ويندب عقب دفن الميت المسلم أن يقف جماعة يستغفرون الله له،
فعن عثمان بن عفان، رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن
الميت وقف عليه وقال: «استغفروا لأخيكم، وسلوا له التثبيت،
فإنه الآن يسأل»^(٤).

(١) أخرجه مسلم (٩٣٦).

(٢) رواه الترمذي (١٠٢٤) وأبو داود (٣٢٠١) وابن حبان (٣٠٧٠).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢٠٢) وابن ماجه (١٤٩٩) وأحمد (٤٩١/٣).

(٤) أخرجه أبو داود (٣٢٢١) والبيهقي (٥٦/٤). أخرجه البخاري (٣٦) في "الأدب

المفرد" بسند حسن.



وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: « ترفع للميت بعد موته درجته؛ فيقول،
أي رب، أي شيء هذه؟ فيقال: ولدك استغفر لك » ^(١).

(١) أخرجه البخاري (٣٦) في "الأدب المفرد" بسند حسن.



فصل □

الاستغفار في بعض الأزمان والأوقات والأماكن □

ورد الاستغفار في بعض الأزمان وفي بعض الأوقات وفي بعض الأماكن لحكم ظاهرة من ذلك:

(١) **الاستغفار عند الفتح والنصر:** يشرع للمسلمين إذا فتح الله عليهم بلدة، أو استردوا ديارهم، أو نصرهم الله تعالى على عدوهم، أن يكثروا من التسبيح والاستغفار، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٢﴾ (١).

(٢) **الاستغفار في أول الليل وآخره:** ويندب للمسلم أن يستغفر الله تعالى في أول الليل، وآخره، فقد روي عن أم سلمة، رضي الله عنها، قالت: علمني رسول الله ﷺ أن أقول عند أذان المغرب: « اللهم



هذا إقبال ليلك، وإدبار نهارك، وأصوات دعائك، وحضور صلواتك، فاغفر لي» ^(١).

وعند النوم يشرع للمسلم أن يستغفر الله تعالى؛ ليكون خاتمة عمله، إذا رفعت روحه إلى بارئها، فعن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يأوي إلى فراشه: استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأتوب إليه، ثلاث مرات، غفر الله ذنوبه، وإن كانت مثل زبد البحر» ^(٢).

ويندب للعبد أن يستغفر الله تعالى في الثلث الأخير من الليل، الذي هو من أفضل الأوقات، التي ينجي فيها العبد ربه وأكدها: لقوله تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ ^(٣)، وقوله: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ

(١) أخرجه أبو داود (٥٣٠) والترمذي (٣٥٨٣)، وقال: حديث غريب. وفي سنده

أبو كثير مولى أم سلمة، قال الألباني "ضعيف" (٣٥٨٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٩٤) وحسنه.

(٣) سورة الذاريات: (١٨).



بِالْأَسْحَارِ^(١)، قال بعض أهل العلم: أحيوا الليل بالصلاة فلما كان وقت السحر أمروا بالاستغفار.

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له »^(٢).

وعن عبادة بن الصامت، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: « من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته »^(٣).

(٣) الاستغفار في نهاية المجلس: يشرع الاستغفار في نهاية المجلس، ويكون كفارة لما يقع في المجلس من لغط، وإثم،

(١) سورة آل عمران: (١٧).

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٥)، أخرجه مسلم (٧٥٨).

(٣) أخرجه البخاري (١١٥٤).



فعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من جلس مجلساً فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك» ^(١).

(٤) الاستغفار في آخر العمر: ويشعر للإنسان أن يكثر من الاستغفار في نهاية عمره، وعند قرب أجله؛ لأن المرء، وهو يودع الدنيا ينبغي أن يخرج منها لملاقاة ربه، وهو طاهر الثوب، قليل العيب، خفيف الحمل، كثير الخير، وليس في عنقه مظلمة لأحد، وقد علمنا أن جنس الإنسان خطاء، ظلوم، جهول، فاحتاج والحالة هذه أن يكثر من الاستغفار لمن بيده مغفرة الذنوب، وستر العيوب.

ويدلنا على مشروعية الاستغفار في نهاية العمر ما رواه ابن عباس، رضي الله عنه، قال: كان عمر، رضي الله عنه، يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقالوا: لم يدخل هذا معنا، ولنا أبناء مثله؟

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٣٣)، وقال: حديث حسن صحيح.



فقال عمر: "إنه من حيث علمتم"، فدعاني ذات يوم، فأدخلني،
فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم، قال: "ما تقولون في قول الله
تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؟ فقال بعضهم: أمرنا أن
نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا. وسكت بعضهم فلم يقل
شيئاً؛ فقال لي: "أأذكلك تقول يا ابن عباس؟" فقلت: لا. قال:
"فما تقول؟" قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال: ﴿إِذَا
جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَأَسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ قال عمر: "ما أعلم منها إلا ما
تقول" (١).

وعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: ما صلى رسول الله ﷺ بعد أن نزلت
عليه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ إلا أن يقول فيها:
«سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي» (٢).

(١) أخرجه البخاري (٤٩٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٦٧) ومسلم (٤٨٤).



وعن عائشة، رضي الله عنها، أنها سمعت رسول الله ﷺ، وأصغت إليه قبل أن يموت، وهو مسند ظهره يقول: « اللهم اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى » ^(١).

وقد يخطر سؤال في ذهن القارئ الكريم، وهو هل يعلم أحد قرب دنو أجله؟ والجواب: بالطبع لا أحد، فإن نهاية الآجال مما اختصاص الله نفسه بعلمها، فلم يطلع عليها ملكًا مقربًا، ولا نبيًا مرسلًا، ولكن جعل الله تعالى علامات يعرف بها المرء قرب دنو أجله منها:

(١) بلوغ الإنسان سن الستين أو السبعين:

فعن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: « أعذر الله إلى امرئ آخر أجله حتى بلغ ستين سنة » ^(٢)، قال العلماء: معناه: لم يترك له عذرًا، إذ أمهله هذه المدة.

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: « أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين » ^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٤٤٤٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤١٩).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٢٣٦) والترمذي (٣٥٥٠ و ٢٣٣١) والحاكم (٤٢٧/٢).



(٢) **ظهور الشيب في رأس الكبير**، فهي علامة من علامات قرب دنو الأجل، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرُ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾^(١)، قال جمع من السلف النذير هنا: الشيب.

(٣) **وقوع المرء في مرض عضال**، عافنا الله وجميع المسلمين، فالمليؤس يستحب في حقه فعل أشياء كثيرة، كتأكد كتابة الوصية، ووجوب رد الحقوق إلى أهلها، وكثرة الاستغفار، وغيرها.

(٤) **كثرة موت الفجأة**؛ ولا أدل على هذا الأمر من زماننا هذا الذي انتشر فيه موت البغته، والذي لا يمهل الإنسان، خاصة مع انتشار وسائل حديثة للتنقل، وما يحصل بسببها من حوادث مفاجئة، تأتي على الإنسان كلمح البصر، ربما لا تمهله النطق بالشهادتين، فينبغي والحالة هذه، على الكيس الفطن: أن يكون مستعداً، على الدوام، للقاء ربه، وأن يكون لسانه رطباً من ذكره، وأن يكثر من الاستغفار.

أؤمل أن أحيأ و في كل مرة تمر بي الموتى تمر نعوشها
وهل أنا إلا مثلهم غير أن لي بقايا ليال في الزمان أعيشها

فصل □ الاستغفار بعد الذنوب □

يجب على العبد أن يبادر إلى التوبة والاستغفار، عقب الذنب، ولا يجوز له تأخير التوبة، يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٢).

وعن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي...» (٣).

(١) سورة آل عمران: (١٣٥).

(٢) سورة النساء: (١١٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، وقال حديث حسن.



قال ابن القيم، رحمته الله: "إن المبادرة إلى التوبة من الذنب فرض على الفور، ولا يجوز تأخيرها، فمتى أخرها عصي بالتأخير، فإذا تاب من الذنب بقي عليه توبة أخرى، وهي: توبته من تأخير التوبة، وقل أن تخطر هذه ببال التائب، بل عنده: أنه إذا تاب من الذنب، لم يبق عليه شيء آخر، وقد بقي عليه التوبة من تأخير التوبة، ولا ينجي من هذا إلا توبة عامة، مما يعلم من ذنوبه، ومما لا يعلم؛ فإن مالا يعلمه العبد من ذنوبه أكثر مما يعلمه، ولا ينفعه في عدم المؤاخظة بما جهله إذا كان متمكنًا من العلم، فإنه عاص بترك العلم والعمل؛ فالمعصية في حقه أشد، وفي صحيح ابن حبان: أن النبي صلوات الله عليه قال: «الشرك في هذه الأمة أخفى من ديب النمل»، فقال أبو بكر: فكيف الخلاص منه يا رسول الله؟ قال: «أن تقول: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم، فهذا طلب الاستغفار مما يعلمه الله أنه ذنب، ولا يعمل به العبد، وفي الصحيح عنه صلوات الله عليه: أنه كان يدعو في صلاته: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي جدي وهزلي، وخطأي وعمدي، وكل ذلك عندي،



اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت، إلهي لا إله إلا أنت «...وفي الحديث الآخر: « اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، خطأه وعمده، سره وعلايته، أوله وآخره » فهذا التعميم وهذا الشمول لتأتي التوبة على ما علمه العبد ذنوبه وما لم يعلمه " (١) .

كما يقول ميمون بن مهران، رَحِمَهُ اللهُ: سأل رجل ابن عباس فقال:

قَبَّلْتُ أَمْرَأَةً لَا تَحِلُّ لِي.

قال: " زنى فوك".

قال: فما علي في ذلك؟

قال: " استغفر الله".



فصل □ ثمرات الاستغفار وآثاره □

وهذا الأمر هو غاية ما يسعى إليه العبد، ونهاية ما يأمله من استغفاره، فالاستغفار له ثمرات عظيمة، ونتائج طيبة، وآثار حميدة، وعوائد كثيرة، في الدنيا والآخرة، منها ما ندركه مما أخبرنا به خالقنا ومولانا، ومنها ما لا ندركه مما يدخره ربنا عز وجل للمستغفرين يوم القيامة:

(١) **تكفير الذنوب والخطايا:** فالاستغفار يحرق الذنوب والمعاصي كما تحرق النار الحطب، والمقصود الاستغفار الذي بمعنى التوبة؛ فإنه أرجى أن يكفر به الذنوب، إن توفرت فيه شروط التوبة، يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١).



وقال الله في الحديث القدسي: « يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم »^(١).

وعن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: « يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي... »^(٢).

وعن ابن مسعود، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: « من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وتوب إليه، غفرت ذنوبه، وإن كان قد فر من الزحف »^(٣).

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ فيما يحكيه عن ربه قال: « أذنبت عبدي ذنباً، فعلم أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنبت فقال: أي رب، اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنبت ذنباً، فعلم أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) سبق تخريجه في ص.

(٣) أخرجه أبو داود (١٥١٧) والترمذي (٣٥٧٢) كلاهما من حديث زيد مولى رسول

الله وهو عند الحاكم (٥١١/١) من حديث ابن مسعود!! وقال: صحيح على شرط

البخاري ومسلم قال الذهبي: أبو سنان هو ضرار بن مرمة لم يخرج له البخاري!!



عاد فأذنب، فقال: أي رب، اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبًا، فعلم أن له ربًا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، أعمل ما شئت فقد غفرت لك»^(١). أي: ما دمت تائبًا راجعًا منيبًا مستغفرًا^(٢).

(٢) الأمان من العذاب العام والخاص: فبالاستغفار يرفع الله العذاب عن الأمة: أفرادها وجماعاتها، الذي سببه الذنوب والمعاصي، فإذا استغفروا، أمنوا بإذن الله - جل وعلا - يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَهَ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(٣).

قال ابن عباس، **رضي الله عنه**: " كان لنا أمانان ذهب أحدهما، وبقي الآخر^(٤). يقصد بالأمان:

الأول: رسول الله **ﷺ** في حياته،

وبالثاني: الاستغفار.

(١) أخرجه البخاري (٧٠٦٨) ومسلم (٢٧٥٨).

(٢) انظر الفوائد لابن القيم (ص ٦٢-٦٣). وفتح الباري لابن حجر (٤٧٢/١٣).

(٣) سورة الأنفال: (٣٣)

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٠١٧ و ١٦٩١/٥) والطبري (١٦٠٤).



(٣) **المتاع الحسن:** فالله تعالى يوفق المستغفر إلى حياة طيبة نظيفة، يشيع فيها الأمن، والأمان، والطمأنينة، والاستقرار، وراحة البال، وسكون القلب، والخير العميم، يقول تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مِّنَّا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ (١)، خاصة: وأن في الاستغفار: اعتراف من العبد للرب بوقوعه في الذنب، أو التقصير، والاعتراف بالخطيئة، والذنب، هو صفة الأنبياء و المرسلين، وقد مر معنا شيء من هذا مما أخبر الله عنهم في كتابه، وأيضًا هي صفة عباد الله المتقين، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ يُعْزِلْهُ إِلَّا اللَّهَ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٢)، ويقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٣) **الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ** (٣)، وإنما كان سيد الاستغفار، الذي مر

(١) سورة هود: (٣).

(٢) سورة آل عمران: (١٣٥).

(٣) سورة آل عمران: (١٦-١٧).



معنا، سيدًا لتضمنه الإقرار بالذنب من العبد والاعتراف بالخطيئة مع علمه الجازم بأنه لا يغفر الذنوب إلا الله، وهي مرتبة عظيمة، وخلة سامية، وقد مر معنا شيء من النصوص في هذا الأمر.

ولو ضربنا مثالًا لما يحسه الناس ويشاهدونه ويعايشونه، وإن المخالف للقانون والنظام متى ما أخفى مخالفته، وإن كان يجزم بأن أحدًا لم يطلع عليها، فهو مهما عاش، فإنه يبقى في شغل شاغل، وقلق ساهر، وخرج في الصدر دائم، فإذا اعترف شعر بحمل ثقيل يلقيه عن كاهله، ويزججه عن رقبته، فكذلك العبد مع ربه سبحانه الغفار للذنوب، والذي يعلم السر وأخفى، فاعترافه بذنبه عن طريق الاستغفار، مع علمه بأن الله وعد على الاستغفار: محو الذنوب، وتكفير السيئات، بل وتبديلها إلى حسنات يزيح عنه هماً طالما أسهره، وضيقاً طالما أثقله، وينقله إلى حياة الطمأنينة والراحة.

(٤) الاستغفار سبب لنزول المطر: فمن أسباب نزول الأمطار:

كثرة الاستغفار، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠﴾



يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١﴾، وقد ذكرت ما عليه حال السلف من كثرة الاستغفار، رجاء نزول المطر.

(٥) الاستغفار سبب في إمداد العبد بالأموال والأولاد: قال تعالى:

﴿وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبَغِ﴾ ^(٢)، والمدد هنا نوعان: إما أن يكون إيجاد بعد عدم، أو قوة وبركة بعد ضعف، جاء في الأثر عن الحسن البصري، **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أن رجلاً شكى إليه الجذب، فقال: استغفر الله، وشكى إليه آخر الفقر: فقال: استغفر الله، وشكى إليه آخر جفاف بستانه، فقال: استغفر الله، ثم تلا عليهم قول الله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ...﴾ الآية.

(٦) الاستغفار سبب في زيادة القوة: فالاستغفار يعطي القلب

والبدن قوة عجيبة يتحملان ببركته الشدائد، قال تعالى على لسان هود: ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدَّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ ^(٣).

(١) سورة نوح: (١١-١٢).

(٢) سورة نوح: (١٢).

(٣) سورة هود: (٥٢).



ولقد كان السلف يستعينون بالاستغفار على تجاوز المفاوز، والمشاكل، فيمنحهم الله بهذا الاستغفار قوة يتجاوزون بها كل نقاط الضعف التي يقف عندها الغافلون عن الاستغفار.

(٧) الاستغفار سبب في تيسير الطاعات وتيسير المعاصي: فكما

أن السيئة تقول: أختي.. أختي؛ كذلك الحسنة تقول: أختي.. أختي فالذي يلهج لسانه بالاستغفار، لا ريب أنه يقوده إلى ما هو مثله من الأذكار، أو غيرها من العبادات، وكلما صاحب المرء استغفاره بتذكر ذنوبه، كلما قاده إلى إحسان العمل، بإذن الله تعالى.

(٨) إغاضة الشيطان: في الحديث، يقول ﷺ: «إن الشيطان قال:

وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم فقال الرب تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي، لا أزال أغفر لهم ما استغفروني» ^(١).

(١) أخرجه الحاكم (٢٦١/٤) والبيهقي في الأسماء (ص ١٣٤) انظر السلسلة الصحيحة



وجاء عن بعض السلف قوله: " إن أحدكم لعله يضني شيطانه كما يضني أحدكم بغيره " (١).

(٩) **تفريج الهموم والغموم حصول الرزق:** فبالاستغفار تنزاح الهموم، وتزول الغموم - بإذن الله - ويوفى العبد للرزق من حيث لا يحتسب؛ فعن ابن عباس، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا ومن كل ضيق مخرجًا، وورقه من حيث لا يحتسب » (٢).

(١٠) **في الاستغفار أمان من النار وسبب في دخول الجنة بإذن الله تعالى:** فعن شداد بن أوس، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: « سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي،

(١) ذكره ابن القيم في " مفتاح دار السعادة " (٢٩٥/١).

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٨/١) وأبو داود (١٥١٨) والحاكم (٢٦٢/٤) وقال صحيح

الإسناد، قلت: وفي سنده مقال وكذا رواه ابن السني (٥٣٨) والبيهقي (٣٥١/٣) وابن

ماجه (٣٨١٩) وغيرهم وإسناده ضعيف انظر الضعيفة (٧٠٥).



فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها من النهار موقن بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة» (١).

وعن ابن عمر، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر النساء تصدقن وأكثرن من الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار» (٢) فأرشاد النبي ﷺ لمن بالتصدق والاستغفار لغرض نجاتهم من النار، وأن بالاستغفار ينجو العبد من المهالك في الدنيا والآخرة.

فعن الزبير بن العوام، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار» (٣).

(١) أخرجه البخاري (٦٣٢٣). قال الطيبي: " لما كان هذا الدعاء جامعاً لمعاني التوبة استعير له اسم (السيد) وهو في الأصل الرئيس الذي يقصد إليه في الخوائج، ويرجع إليه في الأمور. هـ فتح الباري (١٤/١٥٤ - ١٥٥). قلت: وجاء في رواية الترمذي: «ألا أدلك على سيد الاستغفار» وفي حديث جاء في النسائي: «تعلموا سيد الاستغفار».

(٢) أخرجه مسلم (٧٩).

(٣) أخرجه الضياء في المختارة (٢٩٧/١) والطبراني في الأوسط رقم (٨٣٩) والبيهقي في الشعب (١/٣٦٤)، وحسن إسناده المنذري في الترغيب (١٦١٩) وكذا الألباني في الصحيحة (٢٢٩٩).



وقال عبد الله بن عمر بن عبد العزيز: رأيت أبي في النوم قبل موته، كأنه في حديقة، فدفعت إلى تفاحات فأولتهن! الولد؛ فقلت: أي الأعمال وجد أفضل؟ فقال: " الاستغفار " أي: بني^(١).

(١١) أن المستغفرين أخف الناس أوزارًا: فعن عبد الله بن بسر، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: « طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا »^(٢).

رحمته قال حسان بن عطية، رحمته: " إن العبد إذا عمل سيئة وقف الملك فلم يكتبها ثلاث ساعات فإن لم يستغفر كتبت وإن استغفر لم تكتب ".

رحمته قال بكر بن عبد الله، رحمته: " إن أكثر الناس ذنوبًا أقلهم استغفارًا، وأكثرهم استغفارًا أقلهم ذنوبًا ".
وقيل لبعض السلف: كيف أنت في دينك؟ قال أمزقه بالمعاصي، وأرقعه بالاستغفار.

(١) ذكره ابن القيم في إغاثة اللهفان (٢٢/١).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٨١٨) قال المنذري في الترغيب (١٦١٦): "إسناد صحيح" وكذا قال الألباني.



يقول ابن القيم، **رحمته**: سألت شيخ الإسلام ابن تيمية فقلت: يسأل بعض الناس: إيهما أنفع للعبد التسييح أم الاستغفار؟ فقال: "إذا كان الثوب نقيًا فالبخور وماء الورد أنفع له، وإن كان دنسًا فالصابون والماء أنفع له" ^(١).

وفوائد الاستغفار وعوائده كثيرة جدًا.

أسأل الله أن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وصلى الله على محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان والحمد لله رب العالمين.

(١) ذكره ابن القيم في "الوابل الصيب" (ص: ١٢٤).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة.....	٥
تعريف الاستغفار.....	١٠
حكم الاستغفار.....	١٦
حاجة العبد إلى الاستغفار.....	١٩
فضل الاستغفار.....	٢٣
ما هو الاستغفار المطلوب.....	٣٥
من أي شيء يكون الاستغفار.....	٣٩
صيغ الاستغفار.....	٤٥
أنواع الاستغفار.....	٤٨
الاستغفار في العبادات.....	٥٠
الاستغفار للغير.....	٦١
الاستغفار في بعض الأزمان والأوقات والأماكن.....	٦٧
علامات يعرف بها العبد قبل دنو أجله.....	٧٢
الاستغفار بعد الذنوب.....	٧٤
ثمرات الاستغفار وآثاره.....	٧٧
الفهرس.....	٨٨